

طلب اللجوء في إيطاليا: تقدير المخاطر والخيارات

إِلْتَوْر بَيْنْتَر

تؤثر الحيرة المتأصلة في نظام اللجوء بإيطاليا في دوافع طالبي اللجوء وقراراتهم وحسن حالهم.

في بداية سنة ٢٠١٤، أنشأت السلطات الإيطالية «مراكز الاستقبال غير المعتاد» في جميع أنحاء البلد، وكان ذلك إجراءً طارئاً لإيواء طالبي اللجوء. وكان إنشاء هذه المراكز حلاً مؤقتاً لزيادة عدد القادمين من طريق البحر أربعة أضعاف على التقريب بين سنة ٢٠١٣ و٢٠١٤، وأكثر هذه المراكز واقعة في سبيل المثال أنهم يمكنهم بها أن يجدوا عملاً، ثم ذكروا أن حضورهم الدروس دليل على التزامهم الاندماج. ومع أنهم كانوا يعلمون أن طلبات لجوئهم تعتمد على روايتهم عما اضطرتهم إلى الفرار من بلدانهم الأصلية، لا على أتباعهم العادات الإيطالية، فقد افترضوا أن إظهار المواطنة الحق يمكن أن يعين على توفيقهم. وفي أحد المراكز في المنطقة الجنوبية من موليزي (Molise)، أتتى الموظفون -الذين توسطوا في اتصالات طالبي اللجوء بالمحاميين وغيرهم من الموظفين- على طالبي اللجوء الذين يحضرون بانتظام دروس اللغة أو الذين أعانوا على ما استعينوا له في المركز، وأشاد الموظفون أيضاً بأن طالبي اللجوء كثيراً ما يُروون على أنهم سبب إضائي للأمل في صدور قرارٍ حسن.



هذا صف في مركز الاستقبال غير المعتاد، بعد درس في اللغة الإيطالية، في إيطاليا، سنة ٢٠١٧.

وأيضاً، فكثيراً ما حاول ساكنو مراكز الاستقبال تحديد أُمَاط في القرارات المتعلقة بمن نال الحماية، ومن ذلك أنهم نظروا في الجنسية والسنة وشهر المَقْدَم. فكانت تلك محاولة منهم لفهم النظام المبهم واللوائح المتغيرة. ثم إن تعرّف الأُمَاط أدخل الطمأنينة في قلب من تصوّر أنه ملائم نمطاً منها فتوقّع حُسن العاقبة، وأمكن به الآخرين تعديل قراراتهم التي اتخذوها في الخيارات التي بين أيديهم في أثناء ترقيهم.

على أنه بحلول منتصف سنة ٢٠١٨، بعد الانتخابات الوطنية، كان الشعور العام المنتشر في ساكني مراكز الاستقبال هو أن موظفي اللجوء يرفضون الطلبات رفضاً أخذاً في الزيادة، من غير نظر إلى جنسية المرفوض طلبه. ووصف عديد ممن رُفِضت طلباتهم من ساكني مراكز الاستقبال شعورهم فقالوا إن هذا الرفض كان فوق كونه رفضاً لطلباتهم فهو رفض لما الرُزِموا أنفسهم من الاندماج.

في مبانٍ مُعاد تخصيصها (أي فنادق أو صالات رياضية أو مدارس سابقة)، وضيقت منذ ذلك الحين أغلب طالبي اللجوء، ضيقتهم مدداً أطول من مدة الأشهر القليلة التي كانت في نية الدولة والتي توقعتها طالبو اللجوء.

وتعدّ دروس اللغة مكوناً مهماً من مكونات نظام الاستقبال الإيطالي على اختلاف طرق التدريس ومعدلات الحضور اختلافاً عربياً. ويبيّن قرار المشاركة في الدروس وجهات النظر المختلفة عند طالبي اللجوء حول أحسن السبل لاستثمار الطاقة في مدة الاستقبال. ففي المقابلات التي أجريتها في مراكز الاستقبال غير المعتاد بين سنة ٢٠١٧ و٢٠١٩، وصف ساكنوها -ومعظمهم من الشباب من دول جنوبي الصحراء الإفريقية، وهو ما يظهر اتجاهات الهجرة في البحر الأبيض المتوسط- أملمهم في أن تعلمهم اللغة الإيطالية يهيئهم لعيشة ما بعد الاستقبال، من ذلك على

ينتظروا حتّى يُستَمَعَ إلى استثنائهم، فاختاروا أن يتركوا مراكز الاستقبال إذ كان ذلك ممكناً. ولما كانوا مفتقرين إلى الموارد وغير قادرين على العودة إلى بلدانهم الأصلية، شقَّ كثيرٌ منهم طريقه إلى المدن التي هي أكبر، وفيها للمهاجرين شبكات ومجتمعات محلية أثبتت. فصاروا غير نظاميين، ولم يدفعهم إلى ذلك استخفافهم، ولكن الذي دفعهم إلى ذلك ما شعروا بضرورته بعد أن تركوا من دون خيارٍ واقعيّ.

إِلْنُورِ بِنْتَرِ ebp49@cornell.edu

مشاركة في دراسات ما بعد الدكتوراه، في مركز ماريو إينودي

للدراستات الدولية، بجامعة كرنل

<https://einaudi.cornell.edu/>

١. دَعَمَ بحث الدكتوراه الذي استندت إليه هذه المقالة تمويلُ جُمعَ من منحة الإغناء الأكاديمي في جامعة أوهايو، ومنحة الخريجين لبحوث التخرُّج والمنح الدراسية، ومشروع التنقل العالمي، ومركز مرشون لدراسات الأمن الدولي. انظر: <http://cleanorbpaynter.net/research/>

٢. تظهر المعطيات أن الرُّفُض زاد من نحو ٥٥% في سنة ٢٠١٨ إلى نحو ٨٠% في سنة ٢٠١٩.

انظر (باللغة الإيطالية فقط): bit.ly/Villa-2020

وعند طالبي اللجوء، أنت نظام اللجوء بدأ اعتبارياً أكثر فأكثر، إذ ارتبطت القرارات ارتباطاً واضحاً بالإرادة السياسية لا بما تستحقه حالاتهم الفردية. وكانوا أيضاً على دراية واسعة بالمشاعر المعادية للمهاجرين التي هيأت إحاطة إعلامية حول وجودهم في إيطاليا والتفاعل بينهم وبين بعض السكان المحليين، فكلما الفريقيين شعروا بسوء أحوالهم منذ كانت الانتخابات.

وقد حدّثَ أحدُ الذين قُوبِلوا شارحاً أنه لم يكن يدرك حين رُفِضَ استثنائه أن قرارَ الرُّفُض كان حاسماً. فعندما دخل إيطاليا، كان من الممكن رُفِعَ طلبات استئناف متعدّدة. ولكن بينما هو ينتظر تقرير صفته إذ تغير القانون. وظهر له، ولكن كثير مَمَّن حالهم كحالهِ، أن من المنافي للمنطق أن تنقلب فرصته في قبول طلبه رأساً على عقب وهو ينتظر القرار. ورأى كثيرٌ من ساكني المركز أن ترقيهم ترقياً بغير طائل، لعدد حالات الرُّفُض وسمتها الذي ليس له من الصحة أساس. فقرر بعضهم أن لا